المصدر : اخبار اليوم
التاريخ : ٣٠ سبتمبر ١٩٩٥

■■ الموقف السياسى ■■

كلينتون .. وذاكرته الضعيفة !

بقلم: ابراهيم سعده

كان يمكن أن يفقد الرئيس الفلسطينى - ياسر عرفات - أعصابه أمام صعوبة مباحثاته الأخيرة مع الاسرائيليين ، فيوقف هذه المباحثات ويريح نفسه ويريح - أيضا - الآخرين الذين لاهم لهم سوى محاولة عرقلة مسيرة السلام وإفشال الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى ! وكان من الممكن - أيضا - أن ينتهى كل شىء فى لحظة غضب وقرف ، ليعود الصراع العربى الاسرائيلى الى ماكان عليه خلال العقود العديدة الماضية!

ولحسن الحظ .. لم يفعل أبوعمار ماكان أعداء السلام يتوقعونه وينتظرونه ويحلمون به! لقد استمع الرئيس الفلسطينى الى نصيحة الرئيس حسنى مبارك التى قدمها اليه، وكررها عليه، أكثر من مرة خلال جولة المباحثات الأخيرة. ففى حديثه الى صحيفة « لو فيجارو » - الفرنسية - قال الرئيس مبارك : ان عرفات صارحه أكثر من مرة بأنه فقد الأمل فى جدوى المباحثات مع الاسرائيليين ، وأنه يريد انهاء تلك المباحثات ، فكنت أقول له «لا» وأنصحه بضرورة الصبر والصمود ، فهذه المشكلة مستمرة منذ ٤٥ سنة .

ويروى الرئيس مبارك كيف أن عرفات قرر أن يلزم غرفته فى الفندق — خلال مباحثات طابا الأخيرة - ورفض المشاركة فيها، فاتصل به الرئيس مبارك تليفونيا وأقنعه بأنه لن يصل الى شىء بهذا التصرف، وطلب منه ضبط النفس، والتحلى بالصبر، ونبّهه الى أن مصر مرت هى الأخرى بمفاوضات مع الاسرائيليين وواجهت نفس الدرجة من الصعوبات ، وعلى الرغم من ذلك استمرت مصر فى تلك المفاوضات ، ولم تفكر فى الانسحاب منها، وتحقق لمصر - فى النهاية — كل ماكانت تطالب به من حقوقها وحقوق الآخرين.

تذكرت هذه الكلمات - التى قالها الرئيس مبارك للصحيفة الفرنسية - وأنا أتابع عبر شاشة التليفزيون المصرى - مساء أمس الأول - تفاصيل الاحتفال التاريخى بتوقيع اتفاق توسيع الحكم الذاتى الفلسطينى — بين الفلسطينيين والاسرائيليين — فى البيت الأبيض بواشنطون . لم يكن الاحتفال خاصا بالجانبين وحدهما، وإنما كان احتفالا عالميا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

أسعد شعوب الدنيا كلها، وأعطاها الأمل فى أن السلام هو الذى يسود - عادة - مهما طال الزمان، ومهما نجح آلهة الحروب فى اشعالها واستمرارها.

لقد كان الرئيس الأمريكى بل كلينتون سعيدا كل السعادة بنفسه أولا، وبضيوفه ثانيا، وهو يفتتح الاحتفال بكلمة يستعرض فيها جهوده وجهود بلاده التى نجحت فى الجمع بين الاسرائيليين والفلسطينيين، كما أكد فى كلمته انه لن يهدأ إلا بعد أن يتحقق السلام أيضا بين الاسرائيليين والسوريين، وبين اللبنانيين والاسرائيليين. كان كلينتون - كما لاحظنا جميعا - فخورا بنفسه الى أقصى حد .. وكأنه هو وحده الذى حقق ماتحقق، ولولاه لاستمرت المشكلة ٤٥ سنة أخرى!

وليس من المهم أن يتباهى الرئيس الأمريكى بنفسه كما يحلو له، ويعطى للدور الذى قام به أكثر من حقه، ولكن الذى أدهشنى حقيقة - بعيدا عن هذا وذاك - ان ماجاء فى خطاب كلينتون كان يحتاج الى إعادة قراءة من الذين يهتمون بذكر الحقائق خاصة بالنسبة لتاريخ لايزال عالقا فى أذهان وعيون العالم كله! فكلينتون يتصور ان عملية السلام فى الشرق الأوسط يرجع تاريخها الى عامين اثنين ماضيين فقط! لقد قال بالحرف الواحد: -

« لقد فتحنا - يقصد نفسه - طريق السلام منذ عامين ..» ! ونسى الرئيس الأمريكى ان طريق السلام سبق عبوره فى منتصف السبعينات عندما قررت مصر واسرائيل التوقيع على معاهدة السلام فى كامب ديفيد - بالولايات المتحدة - تحت رعاية وعناية الرئيس الأمريكى وقتذاك: جيمى كارتر! لقد مر كلينتون مرور الكرام على هذا الحدث التاريخى الذى لن ينسى واكتفى بذكر كامب ديفيد والسادات ومبارك فى بضع كلمات تعد على الأصابع!

■■■

سمعناه يشيد بباقى الأطراف التى ساهمت وساعدت فى مسيرة السلام حتى تحقق مايحتفل العالم به فى هذه اللحظة. كان كلينتون « مؤرخا أمينا» عندما أعادنا آلاف السنين فحدثنا عن سيدنا ابراهيم عليه السلام الذى وصفه الرئيس الأمريكى بأنه:

« ضحى من أجل السلام» . ولكن هذه الذاكرة الحديدية سرعان ماتحولت الى صفيح عندما بدأ يتحدث كلينتون عن الحاضر! لقد تذكر - فقط - الدور الكبير الذى لعبته المملكة الأردنية الهاشمية فى مسيرة السلام، وتوقف عند اسم الملك حسين ليشيد بدوره ويضعه على رأس الذين قاموا بتحريك عملية السلام فى المنطقة!

هكذا.. وبمنتهى السهولة نسى - أو لعله تناسى - الدور الرئيسى والأساسى الذى لعبته مصر من أجل تحقيق السلام فى منطقة الشرق الأوسط! وبنفس هذه البساطة تجاهل الرئيس الأمريكى حقيقة أنه لولا مبادرة الرئيس المصرى الراحل أنور السادات بزيارة اسرائيل وتحديها - أمام العالم كله - بالموافقة على البحث عن السلام بدلا من الاستمرار فى الحرب، لماجرؤ أحد - وأولهم رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية الواحد بعد الآخر - على التفكير .. مجرد التفكير فى امكانية جلوس العرب والاسرائيليين حول مائدة مفاوضات قبل القرن الثانى - أو الثالث - والعشرين، على الأقل! الرئيس المصرى الراحل أنور السادات هو الذى سبق خيال غيره بمئات السنين، ويكفيه فخرا انه كان يتوقع كل مانالة «جزاء» له على أنه سبق عصره وزمانه وقدم حياته فى سبيل أن يسود السلام منطقة عانت طويلا من الحروب والخراب!

الملك حسين - الذى أشاد به كلينتون - كان أكثر المتطرفين رفضا لماقامت به مصر السادات من أجل تحقيق السلام واسترداد كافة الحقوق العربية من المغتصبين اليهود! ولست فى مجال تذكير الشعب المصرى بما كان جلالة الحسين يقوله - لسنوات وسنوات - عن بلدهم، ورئيسهم، وعروبتهم، وجيشهم! يكفى الشعب المصرى أن يفخر اليوم بأن بلده وزعامته أثبتا للدنيا كلها بأنهما سبقا عصرهما وزمانهما بعشرات ومئات السنين، ويكفى الشعب المصرى - أيضا - ان يتذكر أنه لولا جهل الأشقاء والأصدقاء برفضهم المضى مع مصر فى عملية استرداد الحقوق المغتصبة، لتحقق لهم منذ سنوات أضعاف أضعاف مانجحوا أخيرا جدا فى الحصول عليه من الاسرائيليين!

وضعف ذاكرة الرئيس الأمريكى لايزال مستمرا! لقد نسى كلينتون انه بعد رحيل الرئيس السادات تصور كثيرون ان الزعامة المصرية الجديدة سوف تلغى اتفاق كامب ديفيد. وان مصر ستعود زاحفة تطلب العفو والغفران من أشقائها الصغار! وخابت أوهام وأحلام هؤلاء الصغار. فالزعامة المصرية الجديدة ممثلة فى الرئيس حسنى مبارك أعلنت - فور توليها المسئولية الكبيرة - ان مصر تحترم تعهداتها، وتلتزم بكلمتها، وانها ستواصل مسيرة السلام حتى يتم التوصل اليه بصورته الشاملة والعادلة لجميع شعوب المنطقة بلا استثناء. لم يحاول الرئيس مبارك أن يفرض رأيه على أحد. لقد رحب مبارك بعودة العرب الى مصر - وعودة مصر الى العرب - بشرط عدم تدخل طرف فى شئون الطرف الآخر. فإذا كانت مصر لا تطالب العرب بتوقيع معاهدة سلام مع اسرائيل، فهى ترفض - فى نفس الوقت - أن يطالبها أحد بإلغاء معاهدتها مع اسرائيل.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ولم تمض غير سنوات قليلة، فوجئنا بعدها بمن كانوا أكثر الرافضين والمتشددين، يعيدون النظر فى موقفهم من مسيرة السلام التى ابتدعتها وقادتها مصر، عندما وجدوا فيها الحل الأوحد لمشاكل ومعاناة شعوبهم. فالملك حسين - الرافض الشهير للسلام المصرى الاسرائيلى — أصبح أكبر وأشهر داعية للسلام مع أبناء العمومة الاسرائيليين! حتى أن السلام «البارد» بين القاهرة وتل أبيب — رغم مرور سنوات وسنوات على التوقيع عليه والالتزام به - أصبح يتوارى خجلا أمام السلام «الساخن جدا» بين المملكة الأردنية الهاشمية واسرائيل حتى قبل أن يتم التوقيع عليه!

هذه الحقائق كلها — وغيرها — لايجهلها الرئيس الأمريكى بل كلينتون، وعلى الرغم من ذلك وجدناه يتجاهلها، ويشيد بالدور المذهل الذى لعبه الأردن — تحت رئاسة وبقيادة جلالة الحسين — من أجل تحريك عملية السلام وانهاء الصراع العربى الاسرائيلى، أما بالنسبة لمصر وللدور الذى قام به الرئيس مبارك طوال السنوات الأخيرة الماضية فلم نسمع من الرئيس كلينتون غير جملة واحدة عن التزام مبارك بالسلام!

قد يدافع البعض عن كلينتون فيؤكدون أنه قال بعض الكلمات التى قصد بها - ضمنا - مصر! فمثلا.. قال كلينتون — بعد أن حيّا الحسين ورابين وعرفات والمغرب - : «..ولقد ساهمت أطراف أخرى فى ذلك. وهناك أيضا بطبيعة الحال الأطراف الأخرى الأساسية التى لم أتطرق اليها و التى كانت عنصرا حيويا وفعالا فى اضفاء القوة وقوة الدفع على عملية السلام».

ولايسعنا إلا تقديم الشكر للرئيس الأمريكى على «تفضله» بالإشارة الى «تلك الأطراف الأخرى الأساسية» التى قد يفهم البعض ان مصر وزعامتها من بين تلك الأطراف!

■■■

لسنا فى حاجة الى شهادة من الرئيس الأمريكى. فالرئيس حسنى مبارك لا ينتظر أن تقال فيه كلمة إنصاف. فالرجل فعل أكثر مما فعله أى طرف آخر ممن يتحدثون عنهم ويشيدون بهم وبالأدوار التى لعبوها.

ولحسن الحظ ان صاحب الذاكرة الضعيفة — كلينتون — لم يكن المتحدث الوحيد فى هذا الاحتفال التاريخى. فالملك حسين نفسه لم ينكر الدور الذى قام به مبارك فى دفع عملية السلام. لقد قال جلالته بالحرف الواحد:

— «إن مصر كانت رائدة على طريق السلام».

كما تحدث الرئيس الفلسطينى عن الرئيس مبارك فقال:

— «إننى أعرب عن شكرى البالغ لأخى سيادة الرئيس حسنى مبارك على ماقدمه من جهد مخلص وكبير، ومن تدخلات مثمرة حتى تكلل اتفاق طابا بالنجاح».

ولم ينس وزير خارجية اسرائيل أن يوجه الشكر الى مصر ورئيسها على ماقاما به من أجل تحريك المسيرة والتوصل الى التوقيع على إتفاق طابا الأخير.

شكرا لهؤلاء جميعا.. الذين أسعفتهم الذاكرة فأشادوا بالدور الذى لعبته مصر وزعيمها، وهى إشادة واجبة وإن كنا نعلم جيدا إن الرئيس مبارك لم يكن ينتظرها أو يهتم بسماعها. فالرئيس مبارك فعل مافعله - ولايزال - إيمانا منه بأنه لاحل أمام شعوب المنطقة غير السلام الشامل والعادل لكافة الأطراف، أملا فى الوصول الى تعاون يحقق للشعوب آمالها فى حياة آمنة.

■■■

ووقفتنا مع الرئيس الأمريكى لم تنته. فلم تمض غير ساعات معدودة على ماقاله وماتجاهله فى حفل البيت الأبيض - ظهر الخميس الماضى — لنفاجأ به يختص التليفزيون الاسرائيلى بتصريحات بالغة الخطورة، يمكنها أن تبدد الفرحة وتشكك فى حياد «الراعى» الأمريكى لعملية السلام بين العرب واليهود. فمن رأى الرئيس الأمريكى - ردا على سؤال لمندوب التليفزيون الاسرائيلى - إن مدينة القدس تعتبر — من الناحية التاريخية - عاصمة لإسرائيل!

ولم يكتف كلينتون بذلك وإنما سارع وتنبأ - من تلقاء نفسه - مؤكدا أن جميع السفارات الأجنبية لدى دولة اسرائيل بمافيها سفارة الولايات المتحدة الأمريكية سوف تنتقل - يوما ما - من تل أبيب الى القدس!

ويبدو أن الرئيس الأمريكى تنبه لخطورة هذا التصريح، فسارع قائلا: إن الولايات المتحدة — كوسيط فى المفاوضات — لاينبغى عليها أن تقدم على اتخاذ أى خطوة قد تؤدى الى إرباك عملية السلام! أى ان كلينتون على الرغم من إيمانه بأحقية اسرائيل فى الفوز بمدينة القدس وجعلها عاصمة لدولتها وتنتقل اليها السفارات الأجنبية يوما ما، إلا أنه سيضطر الى تأجيل هذه الخطوة غير المقبولة من الشعوب العربية والإسلامية الى مابعد تحقيق السلام الشامل فى المنطقة!

■■■

ومن المؤكد ان هذا التصريح الأهوج سيجد من يستغله فى محاولة تشويه عملية السلام بأكملها، والتشكيك فى كل ماتحقق من ايجابيات كثيرة وعديدة لصالح الفلسطينيين وحقوقهم وحكمهم لأنفسهم ذاتيا!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية